

Free will as an Achievement
2022 Commencement Address
Daniel Dennett
June 10, 2022

الإرادة الحرة كإنجاز
كلمة حفل التخرّج 2022
دانيال دينيت
10 حزيران 2022

أفترض أنكم تعرفون جميعاً لعبة "حجر ورق مقص" التي ربما نشأت منذ ألف عام في الصين، وعُرفت في جميع أنحاء العالم، تحت أسماء مختلفة. تخيلوا أنكم تلعبون هذه اللعبة ضد شخص يفوز دائماً. سيكون مقلّماً أن يتمكن شخص ما من قراءة أفكاركم بهذه الطريقة، فيبدو قادراً على التحكم فيكم ويمكنه اغتصاب استقلاليتكم. هل يمكن لأي شخص أن يمتلك هذه القوة بالفعل؟ كيف يمكنه فعل ذلك؟ لو أن قوانين الفيزياء النيوتونية تحدد نتائج جميع العمليات الفيزيائية - كل تصادم الذرات وكل تأثير لقوة الجاذبية - لكان المستقبل قد حدّد الماضي بالفعل، ولكان أي شخص يعرف القوانين والحالة الفيزيائية للكون في لحظة واحدة معينة سيكون قادراً من حيث المبدأ على التنبؤ بكل لحظة مستقبلية من ذلك الحين وإلى الأبد. هذا هو مبدأ الحتمية، وقد تم إبرازه بوضوح في القرن التاسع عشر من قبل بيير سيمون لابلاس، الذي تخيل كانثاً - يسمى الآن شيطان لابلاس - يمكنه التنبؤ بمستقبلك طالما أنه مستقبل لا تؤثر أنت به وهو أمر مستحيل، وهو ما أثبتته ألان تورينج في العام 1936 عندما كان يخترع الكمبيوتر. يمكننا أن نعترف بأنه من حيث المبدأ، إذا كانت الفيزياء حتمية، فإن شيطان لابلاس يمكن أن يتوقع مستقبلنا - لكن لا يمكنه الوصول إلى العالم ليسيتر علينا. مذهل. إن لآعباً أقل إحاطة، ويعرف فقط الحالة الدقيقة لعقلكم في الوقت الذي سبق تحرّركم في لعبة "حجر ورق مقص"، قادرٌ على التنبؤ بخطوتكم في الوقت المناسب للقيام بالخطوة المضادة الفائزة. لذلك إليكم بعض النصائح العملية: لا تلعبوا مطلقاً لعبة "حجر ورق مقص" ذات المخاطر العالية عندما يكون رأسكم داخل ماسح ضوئي للدماغ! لا يستطيع علماء الأعصاب حتى الآن تشغيل تقنياتهم بالسرعة الكافية للتنبؤ بتحركاتكم، لكن هذا ممكن من حيث المبدأ. عقلكم هو مركز التحكم في جسدكم بالطبع، وهو معقد بشكل يكاد لا يُتصور؛ في أي لحظة هناك عدد كبير من الأمور التي قد تقرّرون القيام بها، إذا شئتم. هذه هي درجات الحرية التي تتمتعون بها، وأنتم تتعلمون كيفية التحكم فيها منذ طفولتكم. لعدة سنوات، حَبَوْتُمْ وتعرّضتُم تحت العين الساهرة للقائمين على رعايتكم. تعلمتم كيفية المشي، والتحدث، والمجاهرة برغباتكم، وعلى وجه الخصوص، تعلمتم الاستجابة بشكل مناسب للنصائح والتحذيرات والعروض ممّن هم حولكم. لقد قولكم أهلكم وأقرانكم، عبر سنوات من التفاعل، لتجنب الأعمال الخطيرة أو الحمقاء، والحفاظ على رجاحتكم، وعدم إفشاء معلومات الشخصية للغرباء، والوفاء بوعودكم، والامتثال لقوانين المجتمع وعاداته. وعلى مدار السنوات الأولى من حياتكم، حققتم تدريجياً مقداراً من ضبط النفس أقتع المجتمع بمنحكم صفة الراشد الكامل. أنتم، باختصار، مواطنون مسؤولون ومُدركون، وهذا يمنحكم وضعاً خاصاً: لكم الحرية في اختيار أصدقائكم، وقطع الوعود، وتوقيع العقود، وشراء وبيع الأشياء، والتنقل عبر العالم إلى حد كبير أينما كان وحينما تريدون. هذا نوع من الإرادة الحرة وهو النوع الأكثر أهمية، ويستحق أن يُسعى إليه بعزم. هذه الميزة لا تتوقّر للجميع. بعض الأشخاص يعانون من تلف في الدماغ أو يعانون من الأمان أو هم لأسباب أخرى غير قادرين على التحكم في أنفسهم؛ لا يُسمح لهم باختيار ظروفهم الخاصة ولكن يتم وضعهم تحت رعاية أوصياء ما. من أتعس طقوس الحياة العصرية العملية القانونية التي تُقرّر أن أحدنا لم يعد قادراً على رعاية نفسه، ولم يعد مؤهلاً لتوقيع العقود أو اتخاذ قرارات حياتية مهمة. هذه هي فنة الإرادة الحرة التي تستحق السعي، وهي ليست خاصة ميتافيزيقية تعتمد على بعض الإعفاءات السحرية من قوانين الفيزياء؛ إنها إنجاز يؤيده المجتمع ونعمة يمكن أن تخسروها. لمدة آلاف من السنين، ناقش الفلاسفة والعلماء الإرادة الحرة في ظل الافتراض المرتبك بأن الإرادة الحرة ليست حقاً إرادة حرة ما لم يتم استثنائها بطريقة ما من قوانين الفيزياء. في رأيي، هذه واحدة من أكثر الحالات المؤسفة من التصليل غير المقصود في تاريخ التفكير، لأنها شجعت الناس على تجاهل تهديد حقيقي وضاعط لإرادتهم الحرة الغالية أثناء التكهن بالفيزياء واللاحتمية الكمية. وهي من الموضوعات الرائعة التي لا تعلمنا شيئاً عن الإرادة الحرة المهمة. لقد كتبت عن الإرادة الحرة - عن أنواع الإرادة الحرة التي تستحق السعي إليها - لمدة نصف قرن، وما زلت أواجه جيوب مقاومة شديدة لوجهة نظري الرئيسية، ولكن في بعض الأحيان، هذه يمكن استخدامها بشكل جيد. قبل بضع سنوات، نشر صديقي سام هاريس كتاباً صغيراً حول هذا الموضوع بعنوان "الإرادة الحرة"، وظهرت على غلافه أحرف العنوان الإنكليزي تتدلى من خيوط تحريك الدُمى. نظريته كانت رافضة بشكل مفرط لنظريتي (المعروفة باسم التوافقية) ولخص ما اعتقد أنه خطأ في وجهة نظري في سطر ساخر واحد. قال وفقاً لدينيت، الدمية حرّة طالما أنها تحب خيوطها. اعتقد أنه رأى قوله هذا على أنه تنفيذ لنظريتي، لكنني رأيت قوله كتنفس جيد لوجهة نظري. هل تريد أن تكون دمية؟ أنا لا أريد. و أيضاً لا أعتقد أنكم تريدون أن تكونوا دُمى. (كانت لحظة لا تُنسى في المناظرة الثالثة الفظيعة بين هيلاري كلينتون ودونالد ترامب عندما لقيت كلينتون ترامب بدمية بوتين، ورد بغباء "ليس دمية، ليس دمية. أنت الدمية". أظننا بتنا نعرف الآن من كان الدمية حينها.

يعرف محرّكو الدمى أن التحكم في الدمية يتطلب رشاقة يدوية عالية كبيرة وتجاوب، ويعتمد ذلك على الحد من مقدار الحرية التي يجب أن تتحكم بها. (الطائرات المسيّرة هي ذات خيوط إلكترونية، وهي ممكنة على وجه التحديد لأن العديد من القرارات الدقيقة والحساسية للوقت اللازمة للحفاظ على طيران طائرة من دون طيار يتم التعامل معها ببراعة من خلال هندسة أنظمة التحكم على متن الطائرة، مما يترك فقط حفنة من درجات الحرية للمشغل عن بُعد ليطير بها). لديكم درجات من الحرية أكثر من أي طائرة مسيّرة. لذا فإن التحكم بكم عن بُعد يُعتبر مهمة شاقة، لله الحمد. ومع ذلك، يستتبط محرّكو الدمى المحتملين المزيد والمزيد من الطرق لتبسيط مهمتهم. أول قاعدة أساسية للتحكم بشيء ما عن بعد هي تثبيت أكبر عدد ممكن من درجات الحرية، حتى لا تضطروا إلى التفكير فيها. كيف تحدّ درجات الحرية لإنسان آخر؟ يتم ذلك من خلال جذب انتباهه. لقد واجهتم هذه الحقيقة منذ أن كنتم أطفالاً. غالباً ما يعلق الأطفال في جذب انتباههم بواسطة شيء ما في جوارهم المباشر، ولا يمكنهم التوقف عن النظر إليه ومحاولة الوصول إليه. يتم حصرهم حتى تجد الأم أو الأب شيئاً لامتصاصه بدلاً من صرف انتباههم. يتعلم الأطفال تدريجياً التحكم في انتباههم بأنفسهم، وهذه خطوة مهمة في نضجهم المتزايد. اليوم، الخيوط الأكثر فعالية على الإطلاق هي أمام عينيكم: الهواتف المحمولة. ربما يكون لدى معظمكم واحد في جيبه الآن. هناك عدة آلاف من المصممين الأذكاء الذين يحاولون الآن إنشاء جاذبات للاهتمام أكثر فاعلية وشخصنة. هي طعم بالتأكيد. لكنها أكثر من ذلك بكثير؛ العديد من الممرات المشخصة لك مصممة لقيادتك إلى حصر اهتمامكم أكثر وأكثر. هل سبق لكم أن شاهدتم فيديو لأسماك أبو الشص؟ إنها عادة ما تجتم بلا حراك على قاع المحيط مع ساق صغير متدلية أمام أفواهها المغلقة، تحمل طعماً يشبه الدودة يجتذب الأسماك الأخرى أقرب وأقرب، لمعرفة ما إذا كانت هذه الدودة المزيفة هي طعام. وعندما تقترب السمكة الفضولية، يطبق عليها أبو الشص، ويلتهمها. لقد عرضت مقاطع فيديو لأسماك أبو الشص على أحفادي، وأخبرتكم أن العالم مملوء بهذه الأسماك التي ترغب في اجتذابهم إلى مسافة قريبة منها حتى تتمكن من التحكم فيهم. إنني جاد في ما أقوله. هذا تهديد جديد فعلاً، ويجب أن ننشر الإنذار إلى أبعد حدود! لقد حذر الأهل دائماً أطفالهم من الغرباء الذين يتحدثون بعذوبة ويحاولون الاستفادة منهم. الأدب العالمي زاخر بحكايات تحذيرية حول ما يحدث للأطفال الأبرياء الذين يتم استدراجهم. لكن التهديد اليوم، على ما أعتقد، أكبر بأشواط. لذا فإن رسالتي لكم جميعاً هي، أحبوا خيوطكم! احموها من محرّكي الدمى المحتملين، حتى تحفظ استقلالكم، وإرادتكم الحرة، بدلاً من أن تصبحوا أداة غير مدركة في يد لاعب ما. هذه هي الإرادة الحرة الوحيدة التي تحتاجونها.